فرض . ويبيعون الضرار ولا يختنون وليس عندهم كنائس ولا معابد سوى المظال التي يبنونها ليلاً بجانب النهر وقت العيد ويهدمونها في اليوم التالي . ويكرمون المسيحيين من كل الطوائف لانهم يكرمون يوحنا المعمدان

اما اسمهم فصوراتي فتحريف كلمة نصارى او ناصرة نسبة الى طائفة الناصرة التي كانت في سورية منذ عهد طويل

روّاد الحضارة

اوردنا في الجزء الثاني من المجلد الثاني والعشرين الذي صدر منذ اثني عشر شهراً طرفاً من اخبار الدكتور سفن هدن الرحّالة الاسوجي الذي اخترق صحراء تركستان وما لقي من الاهوال فيها وهو صابر على العطش اياماً متوالية . وقد رأينا الآن فصلاً مثل ذلك في جريدة العالم للورس الرحّالة الافريقي وصف فيه ما لقيه في احدى صحاري افريقية الجنوبية من الجوع الشديد وصبره عليه اياماً قال

كانت جماعتنا كبيرة لانه انضمّ الينا كثيرون من ابناء البيداء مع شيخهم تنكرن وهو شهم مجرّب ربي في القفار وزاول الصيد والقنص كلّ ايامه وكان معه خمس مركبات ومعنا اربعة ونحن البيض اربعة انا وكولن وملّر وسل ولكل مركبة من مركباتنا ستة عشر ثوراً من ثيران افريقية لجرها في تلك الصحاري . وكان معنا ثيران غيرها وجملة الثيران ١٥٠ وكان معنا عشرة افراس اربعة لنا وستة للشيخ تنكرن . وكان امامنا مفازة طولها مئة ميل لا بدّ من قطعها ولم نكن نستطيع ان نسير فيها اكثر من ٢٥ ميلاً في اليوم فارحنا ثيراننا ثلاثة ايام . والثيران في تلك البلاد تجرّ المركبات اربعة ايام متوالية من غير ان تشرب اذا كان الفصل شتاء اذ تكون الليالي طويلة باردة وشمس النهار قليلة الحر واما اذا كان الفصل صيفاً لم تستطع ان تسير يومين من غير ماء . وكنا حينئذٍ في فصل الخريف آخر فصول السنة في تلك البلاد ما لم تقع فيه امطار غزيرة . واتفق ان المطر انحبس حينئذٍ وبلغ الحرّ درجة لا تطاق . وكان رمل الصحراء يحمى بُعيد شروق الشمس حتى يتعذّر على المرء ان يلمسه بيده او يلبس شيئاً من المعادن المعرّضة لاشعّة الشمس . والرمل ناعم مختلط بغوص فيه عجل المركبات فتثقل وتجد الثيران في جرّها مشقّة كبيرة ويثور الغبار من مشيها حتى يسدّ منافس الفضاء . واذا غابت الشمس بقي الحرّ يشعّ من الارض الى قُبيل الفجر وحينئذٍ يبرد الهواء وتنتعش الابدان

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر في الثالث والعشرين من شهر دسمبر لما ضربنا في تلك المفازة بعد ان سقينا الخيل والثيران وملأنا آنيتنا بالماء فوصلنا السير بالسرى الى ان اشرقت الشمس في اليوم التالي فنزلنا واكلنا قليلاً ثم عاودنا السير وكنا نسير ساعتين ونستريح قليلاً. واشتد الهجير حتى خارت قوى الثيران فوقفت في آخر النهار وقد اطرقت رؤوسها وادلعت السنتها وتسارعت زفراتها وكان الهواء يدخل خياشيمها سخناً مملوءاً بالغبار فيزيد ظمأها ضراماً. واخيراً دنت الشمس من المغيب فصارت كجمرة من نار واحتجبت عن الابصار فانتظرنا قليلاً وانا احسب ان الثيران ترعى من الادغال المنتشرة في تلك البيداء ولو كانت يابسة لكنها لم ترع فقرنّاها الى المركبات وعاودنا السير وكان في وسعنا ان نتناوب السهر انا ورفاقي الثلاثة ولكني لم افعل ذلك مخافة ان انام فيهمل السائقون سوق الثيران. ولم اكن انام قط في السير بين ماء وماء لئلاّ يضيع الزمن سدًى

وكنا نقصد آباراً في طريقنا فوجدناها جافة لا ماء فيها واشرقت الشمس في اليوم التالي يوم عيد الميلاد ونحن في قلب مفازة قفراء وثيراننا خائرة القوى وقد ربضت على الارض وابت النهوض لكننا انهضناها بالضرب الشديد واضطررناها الى السير فسارت وئيداً الى الساعة العاشرة قبل الظهر وحينئذٍ نفدت كل قواها وكنا نحسب اننا نجد ماء على ستة اميال منا فعزمنا ان نفكها من المركبات ونسير بها وحدها الى الماء لتشرب ثم نعود بها فنذهب فتكرن ورجالهُ اولاً مع ثيرانهم ثم تبعتهم انا وملرمع ثيراني ورجالي وكنت راكباً جوادي وبقي كولسن مع المركبات لانهُ كان مريضاً وبقي سل معهُ فاخذت جواد كولسن معي ولم اكن قد اكلتُ شيئاً منذ الماء السابق ولم آخذ معي طعاماً لاني كنت ارجو ان اعود سريعاً بعد ان نسقي الثيران. ولم نكد نصل الى الآبار او البرك حتى رأيت تكرن عائداً لاقائنا فسألتهُ هل وجد ماء فقال كلاّ ولكننا سنجد الماء قريباً لاني وجدت هنا اثنين من ابناء البيداء قالا انهُ قريب منا وانهما يرشداننا اليهِ فان الامطار هطلت منذ شهر الى جهة الشرق وهناك ولا بدّ من ان يكون مغمراً بها. فقلت لملر ان يعود الى المركبات ويخبر كولسن بما عزمنا عليهِ وانا نحن نسقي الثيران ونريحها قليلاً ثم نعود اليهم ظهر اليوم التالي والاّ ففي اليوم الذي بعدهُ. وكان عندهم من الماء ما يكفيهم ويكفي خيلهم. ثم سرنا في اثر تكرن ورجالهِ وسقنا ثيراننا امامنا الى ان بلغنا الوادي الذي ارشدنا اليهِ الدليلان وكان فيهِ قليل من الماء فهجمت عليهِ الثيران السابقة وخاضت فيهِ فامتزج بالتراب وصار وحلاً ولم نستفد منهُ شيئاً. وغابت الشمس واشرق القمر وكان بدراً فوصلنا السير بالسرى الى ان انتصف الليل فامرت رجالي

ان يقفوا بالثيران ويستريحوا قليلاً ووقفت انا اتكلم مع تكرن وهو يقص عليَّ نوادر الاخبار وانا اصغي اليهِ باذني وعيني ترقب الثيران لئلاَّ يشرد بعضها . ثم طلب اليَّ ان اسير معهُ وادع رجالي وثيراني يسيرون ورائي وانتهي بذلك فايقظت رجالي وامرتهم ان يسيروا في اثرنا وسرت مع تكرن وسررت بحديثهِ فلم اعبأ بمشقة السرى الى ان بلغنا نهر لوالي فوجدنا فيهِ قليلاً من الماء في برك متفرقة فشربنا منها قليلاً وصلت الثيران اليها وخاضت فيها ثم وصل رجال تكرن وثيرانهُ واما رجالي وثيراني فلم يصل احد منهم وانتظرتهم الى ان عيل صبري فقال تكرن يقول لي لا بدَّ من ان يحضروا قريباً. وكان التعب قد اخذ مني كلَّ مأخذ لانني لم اذق طعاماً منذ اكثر من ست وثلاثين ساعة ولم يذق جفني الكرى ثلاث ليالٍ متوالية فجلست بين صخرين يظلانني قليلاً من اشعة الشمس والحال ران الكرى على عيني فنمت وبقيت نائماً الى ما بعد الظهر وحينئذٍ ايقظني تكرن وهو يقول ان دك المقدَّم على رجالك اتى وحدهُ راكباً جواد كولسن والثيران ليست معهُ. فنهضت حالاً وسألتهُ عن الرجال والثيران فقال لما فارقتنا ايقظت الرجال وقلت لم لينهضوا حتى نتبعك فقالوا امهلنا حتى نستريح قليلاً ثم نقوم ونجدَّ في اثرك فتدركهُ وكنت انا خائر القوى من التعب مثلهم فغلب عليَّ النعاس ونمت معهم ثم استيقظت عند الفجر فلم اجد الثيران فايقظت الرجال واقتفينا اثرها فاذا هي لم تذهب في اثرنا بل ذهبت شمالاً فتبعناها الى ان وصلت الشمس الى هناك (واشار الى حيث تصل الشمس عند الساعة العاشرة صباحاً) وحينئذٍ رأيت ان لا بدَّ لي من ان افتني اثرك واخبرك بما جرى

فقلت لهُ وما جرى للرجال اظنهم ماتوا عطشاً الآن فقال لعلهم ماتوا ولكني لا اظن ذلك لاننا لما قمنا في الصباح رأينا الريح تهبُّ من جهة الشمال وثيراننا لم تتبع ثيران تكرن بل ذهبت شمالاً ضد الريح والراجح عندي انها استنشقت رائحة المطر في تلك الجهة فاسرعت اليها ولا بدَّ من ان يكون الرجال قد تبعوها ووردوا الماء الآن لانهم يعلمون انها تستروح الماء وتعدو اليهِ

هذا ما قالهُ دك وهو من خدم كولسن وكان يأتمنهُ ويثق بهِ كل الثقة ولم يخطر ببالي انهُ ينام هو وكل الرجال بعد ان ايقظتهم ولكني لم اعد بالملامة عليهم بل على نفسي فقد كان يجب عليَّ ان لا اخطو خطوة حتى ارى الثيران تسير امامي فوقفت حائراً في امري لان دك سار وراء ثيراني اثني عشر ميلاً قبل ان عاد اليَّ فكيف تستروح الماء على اكثر من اثني عشر ميلاً. الاَّ ان تكرن وهو اخبر مني باحوال تلك البلاد وثيرانها قال ان دك مصيب ولا

بدّ من ان تكون الثيران قد قصدت الماء ووردته الآن ان كانت قد ذهبت اليه من نفسها ولو لم تجد ماء لعادت الينا في اثر ثيرانه

وعزم تنكرن على العودة بثيرانه الى المركبات اما انا فلم اشأ العودة معهم لانني كنت اخشى ان تكون ثيراني قد هلكت فاضطر الى ترك المركبات في الصحراء والرجلان اللذان كانا رائدينا الى الماء يعلمان بذلك فيخبران قومهما فينهبونها ولذلك عزمت ان اذهب الى مكان يبعد ستين ميلاً حيث اجد ثيراناً عند التجار البيض فاستعير منهما العدد الكافي لجر المركبات واعود بها فاذا كانت ثيراني قد وجدت الماء وعاد بها الرجال الى المركبات التقيت بها في طريقي وانا راجع. واذا كانت قد هلكت من العطش مشي والرجال كما اخاف وصلت الى المركبات قبل ان ينهبها احد. اما رفاقي كولسن وملر وسل فلا خوف عليهم اذا هلكت ثيراني لانهم يسيرون في مركبات تنكرن . فركبت جواد كولسن الذي كان ذلك راكباً عليه وقت تلك الليلة وجعلت اطوي صدور الارض على الاعجاز وانا اقطع سبعة اميال في الساعة الى ان بلغت المكان الذي اقصده قبل الفجر بساعة صباح السابع والعشرين من دسمبر وكان التجار نياماً فايقظت اثنين منهم ولم اكن قد ذقت طعاماً نهارين كاملين وثلاث ليالي ولا ذاق جفني الكرى الاّ الساعات التي تمتها عند نهر لوالي . فالحال نهض التاجران وقدما لي طعاماً وجمعا لي الثيران المطلوبة ونمت في سرير احدهما الى ان انتصف النهار ثم اكلت ثانية وسرت بالثيران وسار معي واحد منهما وواصلنا السير بقية النهار والليل التالي والنهار الذي بعده الى عصر التاسع والعشرين من دسمبر وحينئذٍ رأينا غباراً سدّ الفضاء وانكشف بعد قليل عن ثيراني ومركباتي وفيها رفاقي كولسن وملر وسل فصافحوني وقصّوا عليّ ما جرى لهم بعد ان تركتهم

ذلك ان ثيرانا بلغت الماء قبيل الظهر ولا اعلم هل استروحته عن بُعد او علمت به من رطوبة الهواء او عثرت عليه عشوراً . وتبعها الرجال وبلغوا اولاً بركة صغيرة فيها قليل من الوحل فظنوا انها هي كل الماء الذي استروحته فجلس اثنان منهم هناك وقد قطعا الامل من وجود الماء وسلما للقدر المحتوم اما رفاقهما فجدّوا في اثر الثيران الى ان وجدوها عند بركة كبيرة فيها ماء كثير من ماء المطر فشربوا منه وعادوا بقليل منه الى رفيقيهم فسقوهما وانعشوهما ثم عادوا بالثيران الى المركبات فقرنوها بها وساروا في طريقهم الى ان التقى بهم تنكرن واخيراً التقينا نحن بهم ايضاً وانقضت تلك النوبة على سلامة

هذا بعض ما يجده رواد الحضارة من المشاق وهم يعلمون به ولا يشون عنه عناناً